كشافة الإمام المهدي عجل الله فرجه

نشرة «المعين في التربية»

- العدد (1) -

الكذب عند الأطفال

الطبعة الثانية: 21 تشرين الثاني 2023

تمهيد

واحدة من المسائل التربويّة الهامّة والحسّاسة بالنسبة للأطفال والعائلات والجهات التربويّة. في الأيام الأولى من حياة الطفل قد تكون محبوبة لا سيما عند الأبوين، لكنها ستكون صعبة الحل والتقويم في المستقبل، فمن شبّ على شيء شاب عليه.

«الكذب» عند الأطفال

من الخطأ أن نعتبر الكذب عند الأطفال عملًا بسيطًا، فالحالة العاديّة للأطفال هي انعدام الكذب، «فلا سوءة أسوأ من الكذب» و «أقبح الخلائق الكذب» كما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام). وعن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: «إن الله عزّ وجلّ جعل للشر أقفالًا وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب».

إنّ فشلنا وعجزنا وخطأنا في مكافحة الكذب ينشأ من أننا نحكم على هذا العمل من زاوية نفسه، دون أن ننظر إلى الكذب، والغاية منه، ونوعه، وحالة الكذاب وأوضاعه.

لذلك، وحتى يكون كلامنا عن الكذب عند الأطفال مفيدًا وناجعًا وفعالًا، سنتعرض في هذه النشرة إلى النقاط التي توضح لنا صورة شاملة ومحيطة نوعا ما، مما يمكّننا من مواجهة المشكلة والعمل على حلها، وهذه النقاط هي:

1 تعريف الكذب ..... ص 3

2 أسباب الكذب ..... ص 4

3 عوارض الكذب على الفرد ..... ص 9

4 مخاطر الكذب ..... ص 10

5 علاج الكذب ..... ص 11

أولًا: تعريف الكذب

الكذب هو الإخبار بما لا يتطابق مع الحقيقة والواقع. فعمل الكاذب هو تحريف الحقيقة عن وعي، والتفوه بما لا وجود له في الواقع. ونلفت إلى أنه لا يصدق هذا على الأطفال في كل الظروف؛ لأن عددًا لا بأس به من الأطفال لا يفرّقون أحيانًا بين الحقيقة والخيال، فيقولون أمورًا نعتبرها من وجهة نظرنا كذبًا.

ثانيًا: أسباب الكذب

من المفيد عند دراسة أيّة ظاهرة سلوكيّة التعرف على أسباب هذه الظاهرة. والكذب كظاهرة سلوكيّة له أسبابه العديدة، كالخوف، والضعف، والعجز، والحسد، والحقد، والرغبة في جلب أنظار الآخرين،.. إلخ. وبشكل عام نستطيع القول بأن منشأ الكذب عند الإنسان إنما هو لمهانة نفسه، فقد ورد عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنه قال: «لا يكذب الكاذب إلا من مهانة نفسه». وفيما يلي نتطرق لبعض النقاط التي تعتبر أسبابًا للكذب، منها:

1 الخوف من العقوبة

يعتبر الخوف من العقوبة سببًا من أسباب الكذب عند الأطفال، لا بل عند الكبار أيضًا. فالطفل الذي يكسر النافذة أو الإناء، أو لا يؤدي ما عليه من التكاليف بسبب انشغاله باللعب مثلًا، إذا علم أن اعترافه يستلزم العقاب الشديد، فإنه سيكذب وينكر فعله، ويلقي بالتبعة على عاتق شخص آخر، ويبرر عدم أدائه لواجباته بعدم وجود المصباح مثلًا، مدفوعًا إلى ذلك بغريزة صيانة الذات وحفظها. وتذكر التحقيقات العلميّة أن 70 % من أكاذيب الأطفال تعود لهذا السبب، ولو أننا وعدنا الطفل بعدم العقوبة لقال لنا الحقيقة. وهنا نشير إلى أنه كلما كانت العقوبة أشد، كلما كان إصرار الطفل على الكذب أكثر.

2 ثقل عبء الواجبات على عاتق الطفل

ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): « قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): رحم الله من أعان ولده على بره.

قال: قلت: كيف يعينه على بره؟

قال: يقبل ميسوره، ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه، ولا يخرق به».

إن من الأسباب التي تدفع الأطفال إلى الكذب هو ثقل عبء الواجبات التي يكلفون بأدائها، فتشديد الأولياء أو القادة وطلباتهم التي هي فوق طاقة الأطفال يقودهم إلى الكذب، ويوقظ فيهم هذه الصفة الرذيلة.

بعض الآباء والأمهات يظنون أن عليهم في سبيل تربية أطفالهم تربية دينيّة أن يحمّلوهم فوق طاقتهم، فيكلفونهم بأداء النوافل وقراءة الذكر الفلاني ألف مرة وهكذا ..، أو قد يظن بعض القادة أن تكليف الأفراد بمهمات صعبة تفوق قدرتهم وطاقتهم يجعل من هؤلاء الأفراد أشخاصًا يتحملون المسؤوليّة ويعتمدون على أنفسهم.

إن هذا السلوك مع الأفراد غير مرغوب به في الإسلام، فمن جهة يجعل الطفل ينفر من الدين والعبادة، وينفر من العمل الكشفي، ومن جهة أخرى يوقعه في مأزق حرج، فالإتيان بجميع تلك النوافل والأذكار والعبادات باستمرار هو مما لا يتحمل عادة عند الطفل، وفي الوقت نفسه فإنه يخاف من استياء والديه أو قائده، ويحذر من انزعاجهم ويحب رضاهم، وللخروج من هذا المأزق يلجأ الطفل إلى الكذب متحللًا من القيام بالتكليف مرضيًا لوالديه وقائده في آن واحد.

3 الحسد والتنافس

إن منشأ بعض الأكاذيب عند الأطفال هو الحسد والتنافس، فعندما يرى الطفل أن أخاه الأصغر أو أخته قد نالا من والديهما المحبة والإهتمام من خلال حلاوة اللسان مثلًا، أو عندما يرى الفرد الكشفي أن فردًا آخر في وحدته يحظى بالإهتمام والإلتفات من القائد، فإن الطفل سيحاول التقرب من والديه أو من قائده عن طريق منافسة إخوته أو الفرد الآخر بداعي الحسد لهم، وإذا فشل في تحقيق هدفه لعدم قدرته أو ضعف كفاءته، فإنه سينهج مسلك الكذب والتصنع للوصول إلى هدفه. وقد يصل به الحال إلى الكذب لأجل التشفي من منافسه والنكاية به، فيصفه بكل قبيح، ويلصق به التهم والطعون وهو يعلم ببراءته منها.

4 الحصول على المنفعة

الطفل بطبعه يسعى للحصول على الأشياء التي يحبها ويرغب بها. وإذا فشل في الحصول على المنفعة التي يريدها بالطرق والأساليب القويمة، فإنه سيضطر لانتهاج الأساليب غير القويمة. فعندما نعد الطفل بشراء اللعبة الفلانيّة، أو إعطائه الشيء الفلاني إذا حاز درجة عالية في الدرس الفلاني، فإنه إذا فشل في حيازة هذه الدرجة – وكان شديد التعلق باللعبة أو الشيء الذي وعدناه بشرائه – فإنه سيلجأ إلى الأساليب غير القويمة ومنها الكذب للحصول على غايته ومنيته، وهذا الأمر يحصل مع الكبار أيضًا ولا يقتصر على الأطفال.

5 الغرور والمباهاة

تبيّن التحقيقات العلميّة بأن أكثر من 15 % من حالات الكذب منشؤها المباهاة والغرور، فتجد الطفل يتحدث أمام الآخرين كذبًا عن والده وشأنه والمكانة الإجتماعيّة لعائلته وأهميّتها، وعن تفوّقه وامتيازه في النجاح في المدرسة.. وذلك من أجل تثبيت مكانته، ولفت الأنظار إليه، والإستحواذ على اهتمام الآخرين وإعجابهم.

6 الألعاب الصبيانيّة

من الميول التي أودعها الله تعالى في باطن الأطفال الرغبة في اللعب، فالطفل يميل إلى اللعب بفطرته، فهو يحبه ويعطيه الأهميّة والتوجه حتى أنه يشغل شطرًا كبيرًا من حياته.

ولكن أحيانًا قد يعمد الطفل إلى الكذب لكي يلهو ويلهي الآخرين معه، فيرعب الآخرين – مثلًا – بالأحاديث المخيفة والأخبار الكاذبة، كأن يخبر الفرد أثناء إقامة مخيم كشفي الأفراد الآخرين بأنه رأى حيّة قد دخلت إلى الخيمة في هذه اللحظة، فيسارع الأفراد إلى الخروج من الخيمة وهو بدوره يركض وراءهم متظاهرًا وكأنّ الحق معه وأن الخبر الذي أورده لا غبار عليه، وهو يضحك في أعماقه على هذا الموقف الذي افتعله وشغل الآخرين به.

7 البيئة التربويّة والأسوة السيّئة

تعتبر أذن الطفل وعينه نوافذ يطل منها على العالم المحيط به، فهو يسمع لما تقولون، وينظر إلى ما تفعلون، فإذا كانت العناصر الموجودة في البيئة التربويّة تكذب – سواء كانت البيئة التربويّة هي الأسرة أم المدرسة أم الكشّاف – فإن الطفل سيتعوّد على الكذب من حيث لا يشعر. فالأم على سبيل المثال عندما يكثر طفلها من الإلحاح عليها بطلب نوع من الطعام قد تقول له لقد انتهى، ولا يوجد منه شيء حاليًّا، مع العلم أنه يوجد منه ولم ينته، فمثل هذا الموقف يعتبر درسًا تطبيقيًّا في الكذب، وهو أكثر تأثيرًا من الدرس النظري. وهكذا قد يكون تأثير الأب والأستاذ والقائد الكشفي.

عندما يكون الرجل أبًا، أو عندما تكون المرأة أمًا، فإن الكذبة الصادرة منه أمام عيني الطفل النافذتين، وأذنيه الواعيتين، لا يمكن أن تعد ذنبًا واحدًا. ففي هذه الصورة يكون ذنب آخر غير ذنب الكذب قد ارتكب.. ذلك هو ذنب التعويد على الكذب، وهذا أعظم بكثير من الذنب الأول.

وهذا الأمر ينطبق أيضًا عندما يكون الشاب قائدًا أو معلّمًا، وعندما تكون الفتاة قائدة أو معلّمة ...

ثالثًا: عوارض الكذب على الفرد

يحتاج الكذب إلى ممارسة وتدرّب وتجارب مختلفة باعتبار أن الكذب ظاهرة غير فطريّة. لذلك، فإن الطفل لا يتيسر له الكذب بسهولة، بل يواجه صعوبات أثناء الكذب، وتظهر عليه عوارض وآثار يمكن ملاحظتها، منها:

شحوب لون الطفل – تسارع ضربات قلبه، وجفاف فمه حتى يصعب على اللسان الدوران في الفم بسهولة – التلعثم في الكلام، وعدم القدرة على التحدث كالمعتاد – تضارب أقواله، وعدم تناسقها مع بعضها البعض – النظرات الحائرة مع ظهور آثار الخجل على محياه.

نلفت إلى أن هذه العوارض أكثر ما تلاحظ على الأطفال الذين بدأوا الكذب حديثًا، ثم تبدأ بالاضمحلال مع تدرجهم في الكذب وكثرة ممارستهم له حتى يبلغوا درجة يكونون قادرين معها على التظاهر بالمظلوميّة وحتى البكاء حين الكذب، والإستبسال بالدفاع عن أنفسهم، وكأنهم على حق مع الإدلاء باليمين الكاذبة.

رابعًا: مخاطر الكذب

للكذب مخاطر وأضرار كثيرة لا يجوز الإستهانة بها، فهو:

1. يحوّل حياة الإنسان الحقيقيّة إلى حياة مزيّفة ومتصنّعة، فالذي يكذب إنما يخرج نفسه من عالم الواقع، ويدخلها في عالم الزيف والتمويه.

2. وهو يفقد الثقة والإحترام المتبادل والتعاون بين الأفراد، ويجعل الكاذب فردًا غريبًا بين أفراد المجتمع، لا بل منبوذا محتقرًا. لذلك، فإن الكذب يزلزل الكيان الخلقي والإقتصادي والقانوني في المجتمع، وينشر بين الناس سوء الظن، ويحرق جذور الفضيلة، ويميت الروح الإنسانيّة. فعن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: إن أبي حدثني عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «أقلّ الناس مروءة من كان كاذبًا».

إضافة إلى أن الكاذب قد يتحول إلى إنسان محتال يهدد بنقل مرضه إلى ميدان المجتمع والحياة.

خامسًا: معالجة ظاهرة الكذب

معالجة ظاهرة الكذب تكون بأسلوبين: الأسلوب الوقائي، والأسلوب الردعي.

1 الأسلوب الوقائي

تتم الوقاية من الكذب باتباع التوجيهات الآتية:

1) أن نربّي الطفل على حبّ الله تعالى، والحذر من غضبه، حتى لا يقع فيما ينهى عنه الله تعالى، ونبيّن له عواقب الكذب ومخاطره والمصير المهلك الذي يؤول إليه الكذّابون، عن طريق القصص والحكايات، ونشجّعه على قراءتها أيضًا.

2) أن نزرع في نفسه حبّ الأخلاق، من خلال ما يثيره من احترام، وما يحقّقه من فائدة.

3) أن نخلق الثقة بنا من قبل الطفل عن طريق احترام آرائه وأقواله وأعماله، وكتمان أسراره، والثقة به، وهذه الثقة تشجع الطفل على طرح مسائله ومشاكله علينا مباشرة وبشكل جدّي وصريح دون حاجة إلى الكذب والتحايل وتغيير الحقيقة. فعلينا أن لا نشكّك كثيرًا بأقواله، وبالأخصّ تلك التي لا يتحقق منها ضرر كبير، كما علينا أن نثبت للطفل عمليًّا أننا مستعدون لقبوله وتقبل أخطائه أيضًا، وأننا لا نتضايق من سماع كلامه، مما يجعله يطمئن لنا، ولا يحتاج إلى الكذب أبدًا.

4) أن نمدح الصادقين ونروي قصصهم.

5) أن نشعره بالأمان من العقوبة، فمن الأسباب التي تؤدي إلى الكذب الخوف من العقوبة –كما تقدّم–، لذلك، يجب أن يشعر الطفل أو الفرد الكشفي في بيئته ومكان نشاطه بالأمن والإستقرار. فعلى القائد أو المربي أن يعرف وأن يوضح للطفل أنه لا يتّبع عثرته، ولا يقصد مكاشفته بكل صغيرة وكبيرة، بل إن مبدأ الحياة قائم على التفاهم والمحبة وحسن الظن وطيب النيّة، والعقوبة لا تكون إلا في الحالات التي يتعمد فيها الطفل الإساءة. وحتى في هذه الحالات على القائد أو المربي أن يخفّف العقوبة عن الطفل إذا قال الحقيقة، وصدق في كلامه.

6) أن لا نكلفه بما لا يقدر عليه ولا يطيقه، فالطفل لا يصبح رجلًا بتكليفه ما لا يطيق، بل قد يصبح كذّابًا في يوم من الأيام، لذلك، علينا أن نلحظ إمكانيّاته وقدراته، وعندها نوكل إليه المهمّة التي نريد مثلًا بما يتناسب مع إمكانيّاته وقدراته، وعندها لن يضطر إلى الكذب للتغطية على ضعفه وعدم قيامه بما كلّف به.

7) أن نكون القدوة في تجسيدنا للصدق والتزامنا به، فالتزامنا الأخلاقي والإيماني وتمسكنا بالإخلاص في القول والعمل يعتبر درسًا قيّمًا يأخذه الأطفال منّا، وهذا ما نستفيده من إمامنا جعفر الصادق (عليه السلام) حيث يقول: «كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم» وأيضًا «كونوا دعاة لنا صامتين».

8) أن نوعي الطفل بمكانته وقيمته، وإعلامه أن قيمته واحترامه ومنح الحب له مرتبط إلى حد بعيد بمدى صدقه وصراحته، وأن ارتكابه الكذب سيقلل من هذا الإحترام والمكانة والحب له، وعندما يدرك الطفل هذه المعادلة فإنه سيبتعد عن الكذب حتى يحافظ على قيمته واحترامه ومكانته.

2 الأسلوب الردعي

إذا اقترف الطفل الكذب علينا أولًا معرفة الأسباب التي أدت به إلى ارتكاب هذا الخطأ بكل اهتمام وتركيز، فمعرفة الأسباب مطلوب، سواء في العلاج النفسي، أم في العلاج الجسدي. لذلك، يجب أن نعرف: لماذا يكذب الطفل؟ وما هي الأسباب التي تدفعه للكذب؟ ومعرفة الأسباب قد لا تكون سهلة في جميع الحالات، إذ أن هناك حالات تحتاج إلى الوعي والدقة والتأمّل أكثر من غيرها.

ونلفت نظر القائد إلى أنه في سبيل معرفة الأسباب قد يحتاج للقيام بزيارة لعائلة الفرد الذي يكذب، ومتابعة وضعه مع أبيه وأمه حتى يتوصل إلى النتيجة المرجوّة، فقد تكون بعض الأسباب ناشئة من المنزل أو من محيطه، كالجيران مثلًا.

بعد معرفة الأسباب التي دفعت الطفل إلى الكذب، علينا أن نختار الأسلوب والطريقة المناسبة للعلاج، منها:

1) أن ننصحه ونرشده، فالنصح والإرشاد دور مهمّ وأثر لا يستهان به في معالجة ظاهرة الكذب، سواء عند الكبار، أم عند الصغار، وينبغي أن لا يترك هذا الأسلوب أو يهمل، فتذكير الأطفال بمفاهيم الصفاء والطهارة والصدق والإخلاص يؤثر كثيرًا في أنفسهم، ولا بأس بالإشارة إلى التصرفات الخاطئة التي يرتكبها الآخرون، فنقول له بأن التصرف الفلاني غير صحيح، ويسبب العديد من الأضرار، ويسخط الله تعالى، ويؤدي بالإنسان إلى دخول النار، فهذا يعتبر وعظًا وإرشادًا له بشكل غير مباشر.

2) أن نكون متسامحين معه بنسبة معيّنة، فالتدقيق في كل تصرف من تصرفات الطفل والوقوف عنده ليس أمرًا صحيحًا ولا مطلوبًا، لذلك، على القائد أو المربي أن يتسامح مع الطفل، ويعفو عنه في بعض الموارد والأخطاء التي قد نرتكبها نحن أيضًا. فإذا اصطدم الطفل بالمزهريّة سهوًا وعن غير قصد فسقطت وانكسرت يمكن التغاضي عنه، إلا إذا كان هذا العمل قد تكرر منه مرات متعددة بعد التنبيه والتذكير.

وهنا نلفت إلى أن توقّع القائد أو المربي عدم صدور أي خطأ من أفراد وحدته أو من طفله، وإرادته له أن يظل في حياته كالمعصوم أمر لا يمكن تحققه. لذلك، فالأحرى بالقائد أن يبدي الصفح والتسامح كما يخطأ هو ويصفح عنه الرب الكريم، فمن الصغار الزلل والتقصير، ومن الكبار العفو والتسامح.

3) أن نحقّق له بعض الرغبات والحاجيّات المشروعة والتي كانت السبب في وقوعه في الكذب.

4) أن لا نلغي العقاب المناسب في حال استحقاقه؛ لأن التساهل قد يشجّع على الإسترسال، ولكن ينبغي لنا أن نشعر الطفل بأن قول الصدق سيخفّف عنه حدّة العقاب.

5) أن نظهر السخط للطفل بالإيحاء له بعدم الرضا عنه سواء كان ذلك صريحًا أم تلميحًا، وأنّنا لا نحبّ أن نسمع منه أي كلام كاذب، وأنا نشعر باستياء شديد نتيجة لتلك الكذبة التي تحدث بها أمام رفاقه أو الأفراد الآخرين في الوحدة (الفرقة).

6) أن نوبّخه في بعض الحالات التي تكون أكثر حدّة، فالموقف الذي نتخذه يجب أن يكون متناسبًا مع الحالة التي نواجهنا. فعند الإطلاع على أكاذيب الطفل لا بد من مكاشفته بها، وتنبيهه إلى أننا على علم بما يتفوه به من أكاذيب، فما تحدّث به لم يكن كذلك، وإنّما كان بشكل آخر، ويجب أن يعرف أنّه غير قادر على خداعنا وإيهامنا. ولكن يجب أن يتمّ ذلك بيننا وبينه، لا على مسمع ومرأى من الأطفال والأفراد الآخرين.

7) أن نهدّده، وحتّى نعاقبه إذا لم تجدِ الأساليب المتقدّمة، ولم تحقّق النتيجة المرجوّة، وذلك لردعه عن الكذب، وهذا الأسلوب ليس الأسلوب العملي الناجح والمطلوب، واستخدامه يدلّ على أنّ عملنا التربوي قد جاء بعد فوات الأوان.

ونلفت في هذا المجال إلى أنّ العقوبة يجب أن لا تتّسم بالخشونة والقسوة والتشفّي.

والحمد للّه ربّ العالمين

أهم مصادر البحث

1. الطفل بين الوراثة والتربية / العلامّة الشيخ محمد تقي فلسفي.
2. تربية الطفل / الدكتور علي القائمي.
3. العلم والتربية / جماعة من أساتذة التربية.
4. النظام التربوي في الإسلام / باقر شريف القرشي.

تجدون النشرة على موقع منتدى مهدي الكشفي:

https://www.montadamahdi.net/books/book.php?idbook=91

كشافة الإمام المهدي عجل الله فرجه

مفوّضيّة البرامج العامّة

أجيال تسمو وتمهّد